مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-013-002-011

أضواء ورؤى حول حضارتنا الإنسانية- ابن خلدون أنموذجا

Lights and opinions about our human civilization Ibn Khaldoun as a model

اسم ولقب المؤلف المرسل: شرفاوي نورية- Cherfaoui Nouria صص191- 209
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر "أ"، جامعة أحمد بن بلة وهران1
البريد الإلكتروني: nouriacherfaoui@yahoo.com

تاريخ استقبال المقال: 29-06-2023.. تاريخ المراجعة: 10-07-2023.. تاريخ القبول: 21-08-2023

الملخص: يعالج هذا البحث مسار الحضارة الإنسانية وتحولاتها عبر التاريخ مرورا بحاضرها، وكيف يرى المفكرون توجهها المستقبلي؟، تطرقنا في البداية إلى تعريفها ونشأتها وأسباب تطورها وانهيارها عند ابن خلدون، ثم انتقلنا إلى تحليل تاريخ الحضارات الإنسانية وتفاعلها فيما بينها مرورًا بما يعرف بالصدمة الحضارية وكيف يمكن تجاوزها، في ظل الصراعات الايديولوجية ,التي مر بها العالم، ومع نهاية الحرب الباردة، ظهر نوع جديد من الصراع تشهد اليوم الساحة العالمية بداياته ألا وهو صراع الحضارات فهل ستتحول الحرب القادمة إلى حرب حضارات فعلا بين الأقطاب الثلاث الصين والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بتاريخها القيصري العظيم؟ حيث تسعى الصين فرض حضارتها على العالم، بما تحمله من فكر وثقافة خاصة بها، وأمريكا سوف لن تبقى مكتوفة الأيدي بل ستحاول الدفاع عن سيادتها العالمية، وروسيا بتاريخها العريق لن تسمح لهما بذلك، فالعالم أمام فوهة بركان ينتظر انفجارها في كل وقت وحين، ونحن اليوم كمجتمع عربي لابد لنا أن نعي جيّدًا مكاننا وسط هذا الصراع ولن يتأتى لنا ذلك إلاّ بإعادة إحياء حضارتنا وذلك لن يتم إلاّ بفهم التاريخ الحضاري فهمًا يُيسر لنا قراءته بمنطق جديد لإحياء الحضارة العربية وهو مشروع نادى به المفكر العظيم مالك بن نبي وقبله ابن خلدون. وما هذا البحث إلا محاولة بسيطة لتنبيه العقل البشري بأهمية تاريخ الحضارة في بناء مجتمع يحمل فعلا سمات المجتمع المتحضر فكرا، ونعي جيدا الفرق بينه وبين التطور المادي العسكري.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، التاريخ، الصراع، الهيمنة، السلطة، الصدمة الحضارية، الانهيار، الانتفاضات، الوجه الاستعماري، الثورات.

ABSTRACT: This research addresses the course of human civilization and its transformations through history, and how thinkers see its future direction?, At the outset, we touched on its definition, its

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

upbringing, the causes of its development and its collapse at Ibn Khaldoun, and then proceeded to analyze the history and interaction of human civilizations through what is known as the cultural shock and how it can be overcome, in the context of ideological conflicts. By the end of the cold war, a new kind of conflict whose beginnings are being witnessed today by the world arena, namely, the struggle of civilizations. Will the next war turn into a war of civilizations already between the three poles of China, the United States of America and Russia with its great Caesarean history? As China seeks to impose its civilization on the world, with its own thinking and culture, America will not remain idle; it will try to defend its global sovereignty. The world is in front of a crude volcano that is waiting to explode all the time. Today, as an Arab society, we must be well aware of our place in the midst of this conflict. We will only be able to revive our civilization. Only by understanding civilized history can we read it with a new logic to revive Arab civilization, a project advocated by the great thinker Malik bin Nabi and accepted by the son of Khaldun. This research is a simple attempt to alert the human mind to the importance of civilization's history in building a society that truly bears the characteristics of a civilized society, and we are well aware of the difference between it and military material development.

Keywords: Civilization, history, conflict, dominance, power, cultural shock, collapse, uprisings, colonial face, revolutions.

المقدمة: أضحى واجبا علينا أن نعتني بتراثنا الفكري في خضّم هذه العولمة الغربية، بتياراتها الجارفة في كلّ مجالات الحياة حتى بلغت مناحي الفن والتاريخ والأدب، ولعلّها تكون قد أسهمت بقسط في تلك المناحي، من حيث هي جملة من الأصول رسخت فينا، لا يجدر بنا أن نتملّص منها كونها ماضيًا لم يزل يؤثّر فينا تأثيرا بالغًا، ويمتد جزءا مكينًا في توجهاتنا الفكرية وسلوكياتنا، حيث لا تقوم حضارة في أمة من الأمم عن عدم، بل يتحتّم أن تكون لها جذور تدفعها و تطبعها على وجه ما مهما كانت فاعلية ذلك الدفع وقيمته الحضارية، فحسبها أنّها أُنتجت عن فهم معين وتصوّر خاص له أصوله الفكرية ومنازعه الثقافية والاجتماعية وهناك يتحرك الباحثون لإحيائها، يبعثون قيمها من جديد تمحيصًا، وتثمينًا، وغربلة مع غيرها من مأثور الحضارات العالمية عسى يجدون فيه مالا يزال مضمرًا بين طيّاته من أفكار و تصورات يساهم بها في إرساء فكر قومّي لا هو يخرج عن الأصول الأولى، ولا هو ينأى عن فاعلية المدّ الفكري الحديث، ولعلّنا اليوم أحوج إلى التأمّل الواعي لكثير من القيم الروحية والاجتماعية والفكرية، إن عزمنا على نهضة حضارية حديثة، محاولين العثور على جوهرها الحقيقي في

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

خضمّ الاحتكاك الثقافي الذي يعيشه الإنسان المعاصر، والصدمة الحضارية مع الصراعات العالمية المستمرة.

وكان الهدف من هذا البحث هو التنبيه للمرحلة القادمة من صراع القوى العظمى في العالم والتي على ما يبدو أنها ستكون من أصعب المراحل التي مرت بها شعوب المعمورة والانتصار سيكون لصاحب الحضارة القوية فبها سيمسك بسيادة العالم والسيطرة عليه ونحن اليوم كأمة لها حضارة قادت العالم لقرون طويلة نحو التنوير والتشييد الفكري والاقتصادي والسياسي والعسكري بحاجة لفهم هذا التاريخ الثري للاستفادة منه بغية حماية أنفسنا مما هو قادم، فلا يمكن بناء سيادة وقوة تعيد لنا وزننا دوليا إلا بنهضة تشمل جميع الميادين وفي صدارتها النهضة الفكرية وهذا لا يتأتى إلا بفهم جيد لتاريخ تلك الحضارة هذا من جهة، ومن جهة ثانية نحاول جاهدين الخروج من هذه الصدمة التي أفقدتنا هويتنا وجعلتنا نمضي نحو طريق تسوده ضبابية لا تبشر بالخير أفقدتنا مكاننا في الساحة العالمية حتى أصبحت تتهاوى علينا الأزمات تلوى الأزمات.

متبعين خطة منهجية بدأنها بتمهيد عن الحضارة ثم انتقلنا إلى تأثير العصر في فكر ابن خلدون ونظرياته في أسباب قيام الحضارة وتطورها وانهيارها، بعدها بينا كيف يتم التواصل بين الحضارات وكيف شكل لنا ذلك صدمة جعلتنا نقف جاثمين وما هي الحلول الممكنة لتخطيها لنصل إلى أهم عنصر في البحث والمتمثل في صراع العالم اليوم وأين هو موقعنا منه وكيف يمكن أن نحمي أنفسنا؟ وفي الأخير كانت خاتمة هذا البحث التي شملت مجموعة من النتائج المتوصل إليها وبعض التوصيات التي رأينا أنها مناسبة لخدمته بأسلوب يعتمد التحليل التاريخي المبني على الحجج والشواهد التاريخية.

1- الحضارة من تنظير ابن خلدون إلى الواقع:

1-1 تمهيد: تعد لفظة "الحضارة" من أشد الألفاظ المثيرة للجدل والقابلة للتأويل، فهي التفوق، وهي الرفعة وهي الإنسانية وهي التقدم وهي الابتكارات العلمية وهي الفن التشكيلي والبحث العلمي، وهي كل ما يحمله الفضاء التأويلي في هذا الباب، ويذهب البعض الآخر إلى أنها أسلوب معيشي، وهي أيضا تعامل الفرد مع ما يحيط به سواء أكان مادي أو معنوي وشعوره تجاهه، وهي ذاتها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي والتقدم العلمي والتقني الذي

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تمتع به شعب معين في حقبة من التاريخ، وهي بمعنى عام كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة وقدرتها على الإبداع في الآداب والفنون والعلوم، وبالتالي هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي والفكري "ولا يمكن حصر الحضارة على الجانب المادي فقط كالمباني والقلاع والقصور أو اختزالها في أنماط سياسية كالإمبراطوريات والأسر الحاكمة والدول بل بما تنتجه أمة ما من خصائص مميزة وفنون"[1] .

ترتكز على عاملين أساسين: البحث العلمي والفن التشكيلي، فالأول يشمل الابتكارات التكنولوجية وعلم الاجتماع أما الثاني فهو يشمل الفنون المعمارية والمنحوتات وهذا ما عكسته الحضارة الرومانية بصفتها أكبر الحضارات بامتلاكها العلماء والفنانين. رغم ذلك فان الحضارة الاسلامية استطاعت ان تتفوق عليها بأخلاقياتها الفريدة و وضعها للأسس الانسانية التي قامت عليها كل الحضارات اللاحقة حتى عصرنا الحالي لذلك عدت الاخلاق الانسانية ركيزة مهمة في بناء الحضارة الى جانب البحث العلمي و الفن التشكيلي .وأمام كل هذا الكم الهائل من تعريفات الحضارة، سنقف عند أكبر من نظروا لها وأبدعوا في بناء نظرية عميقة لمفهوم حضارة واضحة الأُطر والمعالم وهو العلامة ابن خلدون، فالمتتبع لمقدمته يدرك مدى الدقة في التحليل لمراحل تكوينها ومظاهر قوتها وأسباب ضعفها وانهيارها، وقبل الخوض في تحليل هذه النظرية وعرضها لا بد لنا من تعريف: العلامة ابن خلدون.

2-1 التاريخ و الحضارة عند ابن خلدون: يعدّ ابن خلدون مبتكر علم الاجتماع وواضع أسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعي والسياسي وفلسفة التاريخ والقانون العام.

فكان التاريخ عنده يتجاوز سرد الحوادث إلى تحليلها والبحث في أسبابها والنّظر فيها بعين ناقدة تميز بين الأساطير والتاريخ، وتمحّص ذلك حتّى تقف على الخطأ والصّواب في الخبر، فهو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض له من أحوال وما ينشأ عنه من ملك وما ينتحله البشر من صناعات ومعارف، دون أن ينقطع عن العمل في كتاب التّاريخ حتى

[1] - أحمد فاضل العباسي- الحاضرة- بغداد العراق- ماي2021- ص68.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أتمه عام 797هـ وسمّاه كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ليبقى التراث الفكريّ العظيم الذي خلفه محور بحوث وجهود الفلاسفة الغربيين.

أسس لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والتخطيط العمراني وطهر التاريخ من الخرافات والروايات التي لا تتفق والمنطق ليكون أول من طبق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية. والمتتبع لحياته يجد أن خبرته في السياسة والإدارة والقضاء أكسبته الموضوعية والعلمية في كتاباته خصوصا عن التاريخ لينتهي به المطاف إلى الوقوف عند نقطتين هامتين هما العمران والحضارة أو ما أصطلح عليه الاجتماع البشري وهو "علم لم يوجد قبله في التفكير الإسلامي، بل لم يوجد في التفكير القديم كله إذا استثنينا ما خلقه الفلاسفة اليونان ولاسيما أرسطو عن نظم الدولة والمجتمع"[1].

وقد ساعده في ذلك تسلحه بـ "رؤيته الدينية النافذة، وإحساسه النقدي البصير المعزز بسعة اطلاعه على العلوم الشرعية والعقلية وعلى حركة التاريخ البشري"[2].

ومن الطبيعي أن "لكل عصر قيمه وعاداته وطرائقه وأساليب الحياة السائدة فيه، التي تحدد ملامح حضارة هذا العصر، والتي يعكسها الإنتاج الفكري لعلمائه ومثقفيه، كما يعكس هذا الإنتاج الفكري ملامح الحضارة والعصر التي ينتمي إليها فهو أيضا يتأثر بهما، لهذا ترتبط علمية استيعاب وفهم الإنجاز العلمي والفكري للعلامة ابن خلدون بالتعرف على ظروف عصره وملامحه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية"[3]، ولكون المقام لا يسمح لنا بسرد كل الجوانب التي عايشها سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية فإننا يمكن تلخيص كل ذلك بقولنا إنه لا يمكن الفصل بين الإنجاز العلمي الذي قدمه ابن خلدون للإنسانية وبين طبيعة الحياة الثقافية والفكرية والسياسية التي عاصرها وشكلت ملامح فكره وتكوينه المعرفي فقد كان ابن خلدون تجسيدا في شخصه "لوحدة علمية وثقافية شملت العالم العربي الإسلامي كما كان تجسيدا في فكره لفلسفة التاريخ الإسلامي وممثلا لحال الثقافة العربية الإسلامية في عصر توهجها الأخير، حيث عاش في زمن كان العرب والمسلمون فيه ما

1- محمد عبد الله عنان- ابن خلدون حياته وتراثه الفكرين- مطبعة دار الكتاب المصرية- القاهرة- ص127.

2-عماد الدين خليل- ابن خلدون إسلاميا- د.م المكتب الإسلامي- ص140.

3- محمد الجوهري، محسن يوسف- ابن خلدون إنجاز فكري متجدد- نقلا عن الصنجي مطبوعات المملكة المغربية- ص20.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يزالون يقودون البشرية صوب التقدم والرقي..."[1]، كان قرنا خصبا كثير الإنتاج، عميق البحث لذلك نجده في كتاب العبر قد وضع "خلاصة تجاربه و برز كمؤرخ فهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل الذي يتلخص في أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثا سياسيا فقط، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية أيضا وهذا ما دعا ابن خلدون على ضبط مفهوم التاريخ على أنه أشبه بمفهوم الحضارة أي جعله تاريخًا للأمم و الشعوب بدلا من سير الملوك و الأمراء وطبقات الأعيان لهذا لا يمكن فصل رؤية إ بن خلدون عن أسباب قيام الحضارات والدول و انهيارها بمعزل عن واقع الحياة السياسية في عصره بكل تعقيداتها"[2].

3.1 حال العرب ولغتهم في عصر ابن خلدون: لعل أهم ما شحذ فكر ابن خلدون أنّه وجد في عصر كانت العرب قد نأت عن كثير من أصولها العربية والاجتماعية والسياسية والثقافية، عصر بداية أفول نجم حضارة العرب ودخولها عصر الظّلمة والانحطاط، فاضطربت أحوال الدّول وتداول على سياساتها حكّام كثر افتقد أغلبهم صفو العربية في لسانه وسلوكياته وتحلّى بحُلل العجم.

واتجهت الحياة الثقافية إلى الركود بعد مدّها الغزير على عهد الزيرين فتوجه العلماء وقتها إلى بعث تراث العرب القديم وفي هذا العصر المضطرم بالفتن السياسية والاجتماعية وجد ابن خلدون، وفيه أبدع مقدمته، وقد استطاع أن يستفيد من تلك الانتفاضات التي كانت تهتز لها مجتمعات المغرب وتوالي النّكبات عليها، حيث استطاع أن يفكّ خيوط ذلك التقهقر الذي بلغه العرب في سائر أقطاره، وعمل على إقامة العلاقات المختلفة بين أنواع الأحداث ليفهم التاريخ فهمًا شاملا ويقف فيه على نشوء وارتقاء العمران البشري، باحثا عن العّلة، فقد قال غوته "إن الخطوط العريضة للمغرب الحديث بدأت تظهر بينما علامات العصر الوسيط ما تزال مرئّية وهذه المرحلة الواقعة بين عصرين وهي صفحة جديدة من التاريخ تجعل ابن خلدون في وضعية المراقب المتميز"[3]، وتوصّل إلى تحليل المجتمعات وحضاراتها في نشأتها ورقيّها

1- المرجع نفسه- ص28 وص29.

2- محمد عيد- الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون- علم الكتب- القاهرة- 1979- ص13.

3- محمد الجوهري، محسن يوسف- ابن خلدون انجاز فكري متجدد- نقلا عن الصنجي مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- ص34.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ثم زوالها ليبنيّ صرحًا من العلم والفكر جعله عَلمًا في علم الاجتماع والتاريخ، وهو يحيط أعماله بعناية فائقة تكشف عن دراسة طويلة وعميقة كوّنته ورسخت له من مجموع العلوم التي درسها وعرفتها العرب إلى عهده، إضافة إلى خبرته الشخصية بالواقعات السياسية والاجتماعية بحكم قربه من عين الحدث ولعلّ المزيّة التي تأتها ابن خلدون أنّه وجد على عهد قد اكتملت فيه الكثير من أبواب العلم ونضجت فيه العديد من التصورات النقدية والأدبية.

ومن هنا نطرح السؤال الثاني:

2- كيف نظر ابن خلدون للحضارة؟ وما أسباب قيامها وتطورها؟ ومتى تنهار في نظره؟:

1.2- الحضارة المفهوم والنشأة:

2.2 - تعريفها لغة واصطلاحا:

أ. لغة: "الحضور، ورد في لسان العرب أنه نقيض المغيب والغيبة، حَضَرَ، يحضرُ، حضورًا وحضارة والحضرُ خلاف البدو والحاضرُ خلاف البادي...الحاضر المقيم في المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية... ويقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية وفلان حضريّ وفلان بدوي والحضارة الإقامة في الحضر"[1].

وقد وردت في المعجم الوسيط (الحاضرة) القوم الحضور وحاضرة الشيء القريبة منه وفي التنزيل العزيز ((واسْأَلْهُم عَنْ القرّية الّتي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْر)) وخلاف البادية وهي المدن والقرى والريف"[2].

ب. اصطلاحا: اختلف العلماء والفلاسفة والمفكرون في تعريفهم للحضارة ومن بينهم العلامة ابن خلدون، حيث عدها" تفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع المختلفة التي تنقل الناس من حالة البداوة إلى حالة التحضر"[3].

وهي أيضا "الترف وأحكام الصنائع المستعملة في المطابخ والملابس والمباني والفرش والآنية والفنون والعلوم، إنها حالة استقرار الملك المناقضة للبداوة فحين تتسع أحوال المعاش للبدو

1- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي- لسان العرب- بيروت- دار صادر- ج4 ص196.

2- ابراهيم مصطفى وآخرون- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- دار الدعوة د.ت- القاهرة- حضر ص180.

3- ابن خلدون- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر- تحقيق خليل شهادة- راجعة سهيل زكار- دار الفلك- بيروت-2001- ص456.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بعد تغلبهم على الحضر، ويحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى، دعاهم ذلك إلى السكون والدعّة والتأنق فيها وتوسع البيوت واكتظاظ المدن والأمصار للتحضر"[1].

فهي إذن ترف يمس جميع المجالات، هي الغنى والرفاهية وتشييد المدن وهي عكس البداوة.

3.2 مقومات الحضارة عند ابن خلدون وأسباب انهيارها: أرجع ابن خلدون الأسباب الأساسية في تشكيل الحضارة والعمران وقيامها إلى:

1- **العوامل الطبيعية والجغرافية**: ذكر ذلك في مقدمته بعنوان في المعتدل والمنحرف وتأليف الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم فيفسر ذلك بقوله "قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحرّ في الجنوب والبرد في الشمال وكان من الجنبان من الشمال والجنوب متضادين في الحرّ والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط فيكون منعدلا"[2].

"فلأقاليم الأقرب للاعتدال إنما تكون مساكنهم وبيوتهم منمقة بالحجارة، يضاف إلى ذلك استخدامهم للمعادن الطبيعية من ذهب وفضة وحديد ونحاس ورصاص، على حين أننا نجد ساكني الأقاليم البعيدة من الاعتدال يتخذون الطين والقصب لمساكنهم، وأما أقواتهم من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر... وأخلاقهم قريبة من أخلاق الحيوانات..."[3].

2-**الانتقال من البداوة إلى الحضر:** عدها من الأساسيات التي تساعد في قيام الحضارة العمرانية وقد قسمهم إلى أجيال ويمثل الجيل الأول العرب. "يقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمسكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك... يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة... وقد يأوون إلى الكهوف والغيران..."[4].

1- جمال شعبان وآخرون- فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة- مركز الدراسات- الوحدة العربية- سلسلة الكتب المستقبل، دار النشر بيروت- ط1- فبراير2007- ص82.

2- عبد الرحمان بن خلدون- المقدمة- الفكر للطباعة والنشر- ط1- بيروت-2004- ص96.

3- ابن خلدون- المقدمة- ص103 وص104.

4- ابن خلدون- المقدمة- ص151.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ومنهم الفلاحون معاشهم من الزراعة "والقيام بالفلح ...وهؤلاء سكان المدن والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعجام"[1]أما النوع الثالث فهم الشاوية وهم «من كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر... ويسمون الشاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر... وهؤلاء البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة..."[2].

هذا فيما يخص البدو، أما الحضر فهم فئات ثلاث:

الفئة الأولى: الجماهير العاملة في المدن من تجار صغار وصنّاع أصحاب المهن والوظائف فاقدي الجاه كما أطلق عليهم "فكل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفًا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه"[3]. فهم بذلك "يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر ولا تسرع إليهم ثروة وإنما يرمقون العيش ترميقا ويدفعون ضرورة الفقر مرافعة"[4].

الفئة الوسطى: وهي فئة تحظى بمكانة لدى أصحاب الجاه لتنمية تجارتها وصناعتها.

فئة الجاه المقيد بالمال: بيدهم الملك والسلطان في آن واحد.

3- **الثروة ودورها في الحضارة**: ركز صاحب المقدمة على دور الثروة في الحضارة فالمال عنده لا يعتمد على الحظ أو قراءة النجوم إذ يقول "أعلم أن كثيرًا من ضعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخدام الأموال من تحت الأرض ويبتغون الكسب في ذلك ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض"[5]، فالكسب والإنتاج والعمران لا يتحقق إلا بالسعي والعمل فالكسب "إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل"[6].

1- المرجع نفسه- ص151.
2- المرجع نفسه- 151.
3- المرجع نفسه- ص489.
4- المرجع نفسه- ص490.
5- المرجع نفسه- ص48 1.
6- ابن خلدون- المقدمة- ص477.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

4- **العامل السياسي**: تحدث ابن خلدون عن العامل السياسي واعتبره مقوما أساسيا مهما تقوم عليه الحضارة، فالاجتماع البشري لابد له من "حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى الشرّع المنزّل من عند الله عز وجل يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة إلى السياسة العقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم"[1].

5- **العدل وأهميته في الحضارة**: لقد أفرد له حديثا ليس بالقليل في هذا الجانب فالظلم والجور خصوصا إذا ما تعلق الأمر بانتهاب ثروات الناس يجعلان المرء يعرض عن السعي والعمل لأنه يدرك تماما أن ما سعاه معرض للنهب والسرقة "فالعدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم فإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب"[2].

وهذا ما أكده مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم: أندرو نيكي فورك حيث أكد أن الحضارات اعتمدت على العضلات البشرية "إذ استخدمت طاقة العبيد لزراعة المحاصيل والإكساء وبناء المدن واعتبرت العبودية سمة مشتركة لحضارات ما قبل الحداثة"[3].

ولكي تكون دراستنا متوسعة بالقدر الكافي كان لابد لنا ألا نقف عند حدود ابن خلدون وحديثه عن حضارة العرب ونرى بعين البحث والدراسة أن نتوجه إلى حقل التاريخ البشري وما يقدمه من مظاهر الحضارة في نشاطها وإبداعها وسقوطها وانتكاسها.

لذلك وجدنا بعض الدارسين للتاريخ قد اختاروا تطبيق مقاييسهم الخاصة على مظاهر البناء أوالنشاط الزراعي أو النظم الاجتماعية أو الدّين فيقارنون من خلالها بين الحضارات محاولين الوصول إلى قاعدة عامة كما هو الحال في العلوم التطبيقية معللين ذلك بامتلاك الإنسان خبرات عقلية كشف من خلالها قوانين الطبيعة التي تتميز بالشمولية فتقلص ها هنا عالم الغيب وحل محله عالم سلطة القوانين، رغم أننا نعرف تماما أن أهم مظاهر الحضارة

1- شهيناز سمية- بن الموقف- العهد الديني والاجتماعي في بعث الحضارات وأحولها من خلال الرؤية الخلدونية- ص08.

2- ابن خلدون- المقدمة- ص353 وص354.

3 - NIKI FOROK AMFRE W- The Energy of sloves oil and the new servitude- Greystones- 2012.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

هي "عقائد دينية وازدهار اقتصادي وإنجازات إنشائية، وفنية، وأنظمة تشريعية، وتضامنًا اجتماعيا وفق عادات و تقاليد موحدة لا تتفق معًا في مجتمعين متنوعين أو في فترتين من التاريخ"[1].

وقد أعلمنا التاريخ بقيام حضارات لا سبيل في نكرانها لشعوب لا يملكون أساطيل بحرية ولا تجارية شأن الهنود الحمر في أمريكا والزنوج في إفريقيا. وأخرى قامت على إنجازات فنية شأن الحضارات اليونانية والرومانية وأخرى لم تهتم البتة بالفن بل حتى أنّها قاومت بعض وجوهه مثل الحضارة العربية. وكمثال هام أيضا على قيام حضارة دون قوى حربية كاسحة كحضارة الفينيقيين (في لبنان) لم تكن حضارة جيوش وبالرغم من ذلك كانت حضارة مزدهرة أثرت في كل الشعوب "وكانت تمد المجتمعين الكبريين العسكريين بإبداعاتها الفنية التي تنجزها وبمنهجها العام في التعامل مع جميع الناس"[2]. ويواصل التاريخ شهادته في الحضارات الإنسانية و دوافعها فبالنسبة للقبائل العربية قبل الإسلام "قبل أن تغزوها بيزنطة و فارس، لم تكن على ثراء، كما لم تكن على شيء من معرفة تنظيم الجيوش، كما في الامبراطوريتين المذكورتين، واقتصاد هذه القبائل مجتمعة لم يكن ليقاس بمدخول مدينة واحدة من المدن الكبرى البيزنطية أو الفارسية، ومع ذلك وجدنا لديها نفسًا متحفزة و دافعا حضاريًا يسود أفرادها وينظم مجتمعها بأخلاقية عُليا مما جعلها عند انطلاقها، تندفع بثقة قليلة أفرادها... ومع ذلك تغلبوا على جيوش كبيرة العدد عظيمة العدّة و قوية التنظيم و هذه هي روح الحضارة الحقة قبل أن تتحقق في الإنجازات المادية"[3].

وبالنظر إلى الحضارة الحديثة نرى الأمر يختلف عن التجارب التاريخية الماضية فالولايات الأمريكية محرومة من كل هذه الصفات التاريخية لأنها مزيج من شعوب مختلفة ذات تقاليد متباينة ونزعات إنسانية متباعدة ورغم ذلك توفرت على الشرط الإنساني للحضارة القائم على التعاون النشيط والخضوع للقانون وكذلك التجربة الروسية المعاصرة المعتمدة على رفض كل العقائد الغيبية.

1 - يوسف الحوراني- الإنسان والحضارة- مدخل الدراسات- منشورات المكتبة العصرية- بيروت صيدا- لبنان- ص14.

2- المرجع نفسه- ص16.

3- يوسف الحوراني- الإنسان والحضارة- ص146.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إذا فهناك عامل مهم يضاف إلى جملة العوامل التي نظر إليها ابن خلدون آلا وهو العامل الروحي النفسي وهذا ما جعل تجربة الفتح الإسلامي تتمتع بالثراء الإنساني بأرقى وأقوى مظاهره في معزل عن ثراء الاقتصاد، عكست روحا حضارية جدًا عالية. فتفاعل الإنسان بالمجتمع ومع الحضارة التي أبدعها وإنّه ليستحيل أن نتصور هذه الحقائق منفصلة عن بعضها البعض فالإنسان لم يصبح إنسانا ولم تتفتح مواهبه الإنسانية ولم تنم معارفه وخبراته إلاّ عن طريق المجتمع ولولا هذا الوجود الاجتماعي لما استطاع أن يكوّن حضارة لأنّ "باجتماع البشر واحتكاكهم مع بعض واتصالهم وتفاعلهم مع البيئة نشأت الحضارة الإنسانية ونمت وتطورت ووصلت بهم إلى ما وصلت إليه اليوم وكما يقال الإنسان حيوان اجتماعي كذلك يقول الإنسان حيوان حضاري"[1].

وإذا كان عمر الإنسان محدودًا فإن عمر المجتمع والحضارة مستمر، وهذا راجع لأنهما يتطوران باستمرار وهذا بفعل التواصل الحضاري.

3- 3 -كيف يتم التواصل بين الحضارات؟: أثرت حضارة العرب في أوروبا، "فكتبت إسبانيا العربية الإسلامية صفحة من أروع صفحات التاريخ الحضاري والفعلي لأوروبا في العصور الوسطى ولقد كانت الشعوب المتكلمة باللغة العربية فيها بين منتصف القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر هم حملة شعلة الثقافة والمدنية في ربوع العالم أجمع، وفوق هذا فإنهم كانوا الوسيلة التي كشفت الفلسفة والعلوم القديمة وأضافت إليها ثم نقلتها فكانت أساس النهضة في أوروبا الغربية"[2]، وبالعودة إلى العصر العباسي فإننا نجد أنّه لولا امتزاج الأجناس مع الجنس العربي التي حملت ألوانا مختلفة من الثقافات و الحضارات لما استطاع العرب أن يعرفوا العلوم الطبيعية والفيزيائية والفلسفة فتعرفوا على الحضارة اليونانية والفارسية والهندية والمصرية غيرها فلا توجد حضارة تبني نفسها بنفسها فكل حضارة مرهونة بما قبلها ولهذا فإن أساس الحضارة الغربية اليوم هو ما أثرته الأندلس في العالم الإسلامي بعلومها

1- محي الدين صابر- التغيير الحضاري وتنمية المجتمع- ص13.

2- علي حسني الخربوطي- العرب والحضارة- ص303.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وفنونها أكثر من العرب أنفسهم بقربها من أوروبا فتثقفوا على العرب وتعلموا منهم "في اللاهوت وفي القصص، وفي الطبيعة والكيمياء وفي الرياضة والهندسة وغير ذلك"[1].

فكان العرب هم وسيلة نقل معالم الحضارات اليونانية والهندية والفارسية إلى أوروبا "فأنقذ العرب من العالم شيئًا كان أرسطو بالرغم من عبقريته عاجزًا كل العجز عنه وهو العلم الرياضي والآلي، وأخذ العرب من العالم اليوناني المعرفة الرياضية والطبية التي احتقرها الرومانيون ونبذها المسيحيون، وراحوا يحملون بصبر وجهد في ذلك الطريق الذي ازدراه الإغريق في أوج عظمتهم، وبنوا في القرن العاشر في إسبانيا حضارة لم يكن العلم فيها مجرد براعة فحسب بل كان علمًا يخدم الفنون والصناعات الضرورية للحياة العلمية"[2].

حيث كانت العرب تنعم بإنتاج العقل والمال وتأخذ من مسرات الحياة الفاصلة بأوفر نصيب، ويهاب سطوتها البدو والحضر وتؤلف أمة متحضرة وحكومات ناهضة، في الوقت ذاته كان الغربيون متوحشين وفي جاهلية لا يعرفون الترف ولا يتذوقون عيش الرفاهية، لا أمن ولا إدارة ولا ملوك يعرفون واجبهم في إقامة العدل "وتوطيد الأمن، وهم في كل أحوالهم إلى حياة البداوة أقرب منه إلى حياة المدن والحضارة"[3]. وبعد أن غدت قرطبة مسرحا للنزاع والحروب الأهلية مدى عشرين عاما بدأ بذلك انهيار دول المسلمين بالأندلس شيئًا فشيئًا فكان مأساة سياسية رغم أهميتها في الحضارة العربية والغربية ولم يؤثر النزاع الذي نشب بين العرب وأهالي إسبانيا، المسيحين على التبادل الثقافي بينهما، فقد توصل المسيحيون إلى كنوز الكتب وقرأوها حتى أصبحت هذه الكتب منبعا لا ينضب للحضارة الأوروبية.

1.3- أسباب انهيار الحضارات وزوالها: وبالعودة إلى شيخ المنظرين في هذا المجال (ابن خلدون) فقد حدّد نقاطا للانهيار يمكن عدّها الأسباب الأساسية لانهيار الحضارة العربية وهي:

1- أحمد أمين- طهر الإسلام- ص32 وص34.

2- د. علي حسني الخربوطلي- العرب والحضارة- ص306.

3- المرجع نفسه، ص307.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

1-**تغلب العرب على الأوطان:** يرى أن "العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب "وقد فسّر ذلك بقوله "والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية بأحكام عوائد التوحش وأسبابه فهم فصار لهم خلقا وجلبة"[1].

يضاف إلى ذلك أنهم مغرقون في بداوتهم وكأنهم منفصلون عن سائر الأمم وليس هذا فحسب بل وتحليهم بطبع عدم الانقياد إلى السياسة. "السبب في ذلك أنهم أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالا في الفقر... لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم البعض"[2].

2-**طبيعة الملك والترف**: "وفيه إنفراد الملك بالمجد، ما كان مشتركًا، وكان سعيهم واحدًا، كانت همتهم في التغلب على الغير ويكون الملك هدف قبيلة وذلك من خلال العصبية فإذا حصل ذلك أصبح الملك واحدا منهم وأصبح كل شيء له وحده دون غيره من مال وجاه، وبهذا يخرج الآخرون عن طاعته وتلبية أوامره فيتكاسلون عن الغزو والحرب".

3-**طبيعة تقتضي الدّعة والسكون:** عند انتقال الدولة من البادية إلى الحضارة يتعود أهلها على الرّاحة ولا يبذلون أيّ مجهود في أيّ شيء، فينسون حياة البادية وقساوتها فتضعف حينئذ الحماية.

ونستطيع بذلك أن نصل إلى سببين هامين للتدهور الحضاري في نظر ابن خلدون وهما:

أ- **العصبية:** "وهي قسمان كبرى وصغرى. أمام حالها في بداية تأسيس الدولة ثم تنتقل إلى مرحلة الحضارة فتبدأ علاقة تلك العصبية في الضعف والتفسخ بسبب الترف وبعد زوالها تظهر الصغرى وتتكون من بطانة الحاكم ومن مواليه تتخذ منهم الدولة وحاكمها عصبية لها"

ب- **الانفراد بالملك والمجد:** "ويتم ذلك دون أخذ المشورة مما يدفعه إلى الكبر والأنفة فيرفض أن يشاركه أحد خاصة أهل عصبتيه فيبعدهم عن ملكه، ويأخذ بالقتل والإهانة والسلب حتى يصبحوا أعدائه ويبدأ الحاكم يعاني أشدّ مما كان في بناء ملكه[3].

4- ابن خلدون المقدمة- ص163.

1- المرجع نفسه- ص184.

2- علي حسني الخربوطلي- العرب والحضارة- ص337

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وهو يرى طبقا لذلك أن الحضارة تتعاقب على الأمم في ثلاث أطوار فكل طور ينمو ويولد نوعًا آخر يختلف عن غيره وهي تمر بثلاث مراحل:

*المرحلة الأولى: ويمثله بمعيشة البدو في الصحاري والبراري وهم لا يخضعون لقانون المدنية ما يحكمهم سوى العادات والتقاليد.

*المرحلة الثانية: تعد مرحلة القوة والازدهار وتبلغ فيها الحضارة أقصاها وهي من أرقى مراحلها قوة فيها الاستقرار والتطور في الصناعات والعلوم والازدهار الاقتصادي والتوسع العمراني والترف.

*المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الضعف والوهن الانحطاط ثم الانتهاء الانقراض.

وإذا تتبعنا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وجدناها قد مرت فعلا بهذه المراحل وانتهى بها المطاف في أوائل القرن التاسع (803هـ) بخرابها، فقد دمر تيمو لنك مدينة بغداد وذبّح كثيرا من أهلها، وخرب دمشق وحلب، كما تعرضوا لأخطار المغول " ففي سنة 656هـ/1258م وصل هولاكو إلى بغداد وخربها بالكامل قتل الخليفة المستعصم وقتل كبار الفقهاء ورجال الدولة واستولى على التحف والأموال وأحرق قبور الخلفاء وألقى بالكتب التي حوت التراث العربي في نهر دجلة وليس هذا فحسب بل تعرضوا أيضًا لأخطار الصليبين.

وأضحى انهيار دول المسلمين بالأندلس شيئًا فشيئًا يعتبر مأساة سياسية على أن تلك الفترة ذات أهمية خاصة في حضارة العرب.

وهذا ما أيده الفيلسوف الألماني سنجلز حيث يعتقد أن الحضارات مثلها مثل الكائنات الحية، تولد وتنضج وتزهر ثم تموت وقد تنبأ في كتابه (انحدار الغرب 1918-1922") بزوال وموت الحضارة الغربية وقيام الحضارة الأسيوية مكانها.

أما المؤرخ البريطاني "ارنولد توينبي" فيربط حضارة أي مجتمع، بدرجة تحدّ يه في كتابه (دراسة التاريخ 1934-1961) فقد اعتقد أن الحضارات تقوم على تحدي الناس للبيئة واستعدادهم لهذا التحدي والاستجابة له فالجوّ الحار على سبيل المثال يجلب الجفاف وهو غير صالح للزراعة فبتحديهم من خلال بناء أنظمة الرّي و انتعاش الجانب الفلاحي يكونوا قد أقاموا حضارة وبعدها يضعف هذا التحدي نتيجة الاستقرار والترف والبذخ وهنا تبدأ الحضارة في الانهيار حيث يفقد المجتمع قدرته على الابتكار و يسلم نفسه لمجتمع آخر يتحكم

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

في حربية و تحت مظلة حضارة أخرى. ولكن من باب الانصاف لا بّد لنا من الاعتراف بحقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أن الإنسان ليس وحدّه المسؤول عن دمار الحضارة وانهيارها وإن كان مسؤولاً عن بنائها. فالحضارة كما أكدّ ابن خلدون تحمل في طياتها بذور نهايتها فهرم الدولة عنده مسألة طبيعة إذ يقول: "هو من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواءها... والأمور الطبيعية لا تتبدل"[1]. ويفتح المجال لجماعة أخرى من البدو تسعى إلى الملك والريّادة فتحل محله وتحذو حذوه وتمر بنفس الأطوار والمراحل وتبقى الصلة الحضارية قائمة في البداية.

ولهذا ظلت الصلة الحضارية قائمة بين العرب والغرب رغم كل ما حدث" وكان كل فتح مسيحي جديد لمراكز الدراسة العربية الإسلامية يؤدي إلى توصل المسيحيين لكنوز جديدة من الكتب، لم تترك على رفوفها دون قراءة لأن الملوك المسيحيين شجعوا في حماسة دراسة الكتب العربية، وأصبحت هذه الكتب منبعا لا ينضب للحضارة الأوروبية"[2]، وبعدها ظهرت حضارة الغرب وهي تفرض نفسها على الحضارات الإنسانية جمعاء من اليابان والصين إلى الهند وفارس وروسيا والعرب، وهنا يحدث ما أطلق عليه بالصدمة الحضارية أو الصعقة الحضارية.

2.3 الصدمة الحضارية وكيف يمكن تخطيها؟: إن قيام حضارة مقام أخرى ينشأ عنه صعقة أو صدام بينهما فتقوم على إثره صراعات وتجاذبات.

فالغرب مثلا أظهر تناقضا واضحا بين المبادئ التي يدعوا إليها وبين ما قام به إزاء الشعوب، فبعدما أبهرتهم الثورة الفرنسية القائمة على الحرية والمساواة والعدالة والأفكار الليبرالية الإنجليزية فإنّها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يشهد العالم منها سوى الوجه الاستعماري الظالم القائم على النهب والسلب. فليس ثمة شعب من شعوب العالم من أبناء الحضارات التاريخية لم يتفاعل مع الحضارات الغربية وقد أدى هذا التفاعل إلى بعث الثقافات الوطنية التي منعت هذه الشعوب من الوقوع في فقدان الهوية والتغريب فاكتسبت أبعاد حديثة كما هو الحال في الثقافة العربية فهي لم تقف كتلة صماء تجاه الحضارة الأوروبية الغربية مما أدى إلى وجود حركة جدل وأفكار داخلها تعكس حيوية الأجيال.

1- ابن خلدون- المقدمة- ص200.

2- علي حسين الخربوطلي- العرب والحضارة- ص324.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وقد يكون التحيز الغربي ضدّ الحقوق العربية عاملا في استمرار هذه الصدمة وكأننا لا زلنا في لحظة الصدمة الأولى وأدركنا أن الحضارة الغربية بمنجزاتها هي لا إنسانية في الوقت نفسه لا يمكن تجاهلها ولا الوقوف بوجهها وهذه المنجزات لا تتوقف عند حدود التقنيات بل تتعدى إلى حرّية الفرد والدولة والقانون.

ولهذا يرى المفكر السياسي الأمريكي "صامويل هنتقتون" أنّه بعدما كان الصراع خلال الحرب الباردة سببه النزاع الأيديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية سيصبح صراعا بين الحضارات تكون الاختلافات الثقافية هي المحرك الرئيسي للنزاعات بين البشر في السنين القادمة"[1]، وقد شرح ذلك في كتابه "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" .

وبغض النظر ما إن كانت هذه الدراسة علمية إلى حدّ ما أم هي توقعات قد تصدق وقد لا تصدق لكن المهم أن الصّراع متجدّد حتى أنه لم تعد العوامل الطبيعية وحدّها تعيين حدّود الدّول وأتاحت التقنيات الحديثة ربط الأقطار المتباعدة ووحدتها رغم ما بينها من اختلافات وأصبحت لا تقوم على أسس جغرافية محضة.

فالدول العربية اليوم القائمة لم تتكون بمشيئتها وإنّما جراء الاتفاقيات والمعاهدات بين دول الحضارة الغربية الاستعمارية فكل ما هو مرسوم اليوم هو بقايا عهود الاحتلال.

الخاتمة: صفوة القول إن ابن خلدون بتأسيسه لنظرية العمران قد وضع قوانين تحدد مجال الأسباب المؤثرة في بناء الحضارة منها الجغرافيا والعدل، والانتقال من البدو إلى الحضر، والسياسة وبحلول الظلم واستبداد الحاكم والترف والدعة تنهار لتقوم مقامها حضارة أخرى تتفاعل مع من سبقتها، وينشأ ما يسمى بالصدمة الحضارية لتزداد بفعلها الصراعات حول السلطة والهيمنة العسكرية وفي كل مرة يأخذ الصراع شكلا جديدا وقد يتحول الصراع بعد الحرب الباردة إلى صراع الحضارة متعددة الأقطاب لذلك يرى بعض المفكرين أن حضارة الغرب في تقهقر بينما الحضارة الاسيوية هي من سوف تقوم بتوسيع قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، لذلك نقول إن الضياع الحضاري الحقيقي هو عندما يعيش الناس دون رغبة ويموتون دون أن تبقى لهم إرادة للعيش من أجل ما هو أبعد، فالموت الإنساني هو

[1]- Samuel p Huntington- clash of civilization (PDF)- fareign Affairs- on 1993.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

السبب الرئيسي لانهيار الحضارة لأنّ الضياع الإنساني يبدأ بالأفراد أولا، فقد صوّر لنا التاريخ ما حدث في اليونان حيث بدأت الحضارة بالأناشيد والطقوس والملاحم الهوميرية وانتهت بجدل سقراط وتخيلات أفلاطون.

وصوّر لنا أيضا كيف انتهت الحضارة العربية بابن خلدون في علم الاجتماع حيث وقف يبحث في المجتمع ومقوماته وبواعث نشاطه فوق ركام حضارة كان آخر بقاياها يتهاوى أم ناظريه. فكان بحق يعد المؤرخ الوحيد الذي درس الحضارة وتعرض لمداخلها وتطورها وعرف ما بين البداوة والحضارة من صراع، وأول من قال بسيرورة التاريخ الغير المنتهية من البداوة إلى الحضارة والحضارة مرحلة من مراحل تطور البداوة.

ولكن الأمل الذي سيبقى دائما مع كل حضارة هو أن تكون لها تجربة جديدة للبحث عن أمل متجدد؛ فشعور الانتماء إلى حضارة معينة سوف يكون له شان متزايد ا في المستقبل، وسوف يأخذ العالم إلى حد كبير من التفاعل بين الحضارات. وإن الصراعات القادمة تفصل بينها فروق أساسية في التاريخ واللغة والثقافة والدين، تشكل قوة مركزية تحرك الناس فتنشا تحالفات بصورة متزايدة تشمل الدين والهوية الحضارية المشتركة وبناء عليه سيحدث صدام عسكري بين الدول المتخلفة والدول العظمى خصوصا أمريكا وغرب أوروبا كبديل للاتحاد السوفياتي بمبادرات صهيونية ولهذا أصبح من الواجب علينا اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نعي جيدا الخطر حتى نستطيع حماية أنفسنا ومكتسباتنا وأهمها أمننا و وجودنا. وفي الأخير تركت هذا البحث فاتحة لبحوث أخرى تحفر في كنوز هذا التاريخ، لتكشف عنه ما سلط عليه من تدليس غطى على الكثير من الحقائق، وتولد عنه شيء من الجمود في القيم الإنسانية والعقل البشري الذي أصبح لا يفكر في شيء سوى الحروب ونهب الخيرات والتجويع حتى أصبح الأمن العالمي أشبه بجبل جليدي يزداد ذوبانه يوما بعد يوم، مهددا العالم بأعاصير تقلب عاليه سافله، وتفاديا للطامة الكبرى هذه يجب على العقل البشري أن يعيد القراءة التاريخية من جديد لتتجدد المعرفة، لأن مشكلة القراءة التاريخية العقيمة هي أنها تعيد إنتاج نفسها.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة د.ت، حضر.
- ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، تحقيق خليل شهادة، راجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفك، 2001.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي: لسان العرب، بيروت، دار صادر، حضر، 4-196.
- أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط2 1999.
- أحمد فاضل العباسي: الحاضرة، بغداد العراق، ماي2021.
- جمال شعبان وآخرون: فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز الدراسات، الوحدة العربية، سلسلة الكتب، المستقبل العربي، دار النشر بيروت الطبعة الأولى فبراير 2007.
- شهيناز سمية بن الموقف: العهد الديني والاجتماعي في بعث الحضارات وأحوالها من خلال الرؤية الخلدونية، مجلة المعيار، المجلد 14 العدد 38، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2014.
- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، طبعة جديدة، الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2004.
- علي حسني الخربوطلي: العرب والحضارة، دار النشر الكبرى، القاهرة، ط1، 1966.
- عماد الدين خليل: ابن خلدون إسلاميا، د.م المكتب الإسلامي للنشر، المجلد 1، ط1، 1983.
- محمد الجوهري-محسن يوسف: ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، ط1، 2008.
- محمد عبد الله عنان: ابن خلدون حياته وتراثه الفكرين، القاهرة، دار الكتاب المصرية، ط1، 1933.
- محي الدين صابر: التغيير الحضاري وتنمية المجتمع، دار النشر، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1962.
- محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1979.
- يوسف الحوراني: الإنسان والحضارة، مدخل الدراسة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت صيدا-لبنان.
- Samuel p Huntington on 1993 clash of civilization (P.D.F) foreign.Affairs.